

# البعث اشتراكية علمية زائدًا روح

أيها الرفاق<sup>(١)</sup>

مع الأسف وصلنا إلى حالة من التشويه أصبحت معها الأعمال الشرعية النظامية التي تتطلبها مصلحة الحزب، بل مصلحة البلاد والأمة، تستصرخ الضمائر لكي يظهر من ينقذ البلاد وينقذ الحزب من الكوارث والهاوية، أصبحنا نسمي الدعوات المشروعة تصرفات فردية، بعد الكارثة التي حلت بحزبنا وأمتنا في العراق. . . أليس من البديهي أن يتنادى أعضاء هذا الحزب إلى الاجتماع ليروا لماذا حلت الكارثة؟ . . . ليدرسوا وليضعوا خطة ينهضون بها ويجنبون الحزب والبلاد كوارث جديدة إذا استمرت الأخطاء بدون محاسبة، وقد جاءت نكسة العراق بعد زمن قصير جداً من مؤتمر قومي عقد في هذه المدينة، ودامت اجتماعاته خمسة عشر يوماً وأكثر، وقيلت فيه كل الأشياء التي تحذر الحزب من عواقب سياسة وأسلوب لا بد أن يوصلا إلى ما أوصلا إليه، ولكن لم تنجح التحذيرات لأسباب من هذا القبيل وللتذرع بالشكليات: يضحى بمقدرات الشعب بحجة شكليات النظام الداخلي، فليات إذن أعضاء هذا الحزب بعد وقوع النكسة ولينظروا نظرة جديدة إلى شكليات النظام، وإلى واقعهم، ولينظروا إذا كانوا يرضون لحزبهم ولشعبهم أن يستمروا في هذا الطريق. من يجادل في ضرورة اجتماع مؤتمر قومي بعد أحداث كتلك الأحداث؟ . . . هذه بديهية، وقد حاولنا أن نخرج بقرار من القيادة القومية - وهنا أعضاء في القيادة القومية يشهدون على العراقيين التي وضعت لمدة خمس ساعات

(١) كلمة أولى في المؤتمر القطري السوري الاستثنائي في ٢ شباط ١٩٦٤.

من المماحكة لتعطيل اتخاذ قرار- وقيل ان المؤتمر القومي لا يجتمع بهذه السرعة، ولا بد من التحضير، ودراسة التجربة بكل تفصيل ودقة، وأن تؤلف المؤلفات، ونحن نشعر أنه إذا لم ندع المؤتمر القومي فليس من سلطة، لم يعد سلطة بالحزب. وقيل أيضاً لماذا؟. . هذه القيادة القومية منسجمة، ولم لا تستمر في القيادة، ولم يعرف الحزب كفاءة مثل كفاءة هذه القيادة، هذا كلام قيل في الجلسة التاريخية<sup>(١)</sup> التي حاولوا بها تعطيل اتخاذ قرار ودعوة المؤتمر القومي، لأن فيها من كانوا يستلمون مسؤوليات، فعليهم أن يمثلوا أمام أعلى مؤتمر في الحزب. . وكيف، وبأي عرف، وبأي عقل، تبقى قيادة بلاد ومقدرات بلاد، مقدرات حزب، يوجد في عديد من الأقطار، وهو على رأس حكم في سوريا. . بأي عرف، وبأي شرع تستمر قيادة لم تستطع أن تجنب الحزب والبلاد النكسة التي وقعت؟ فيجب أن يعود الأمر إلى الحزب، وفي قناعتني أن على أي عضو في هذا الحزب أن يبادر إلى دعوة المؤتمر. . فكيف بالأمين العام، وهو لم يحدّد أشخاصاً معينين في دعوته، بل وضع قواعد موضوعية لمؤتمر يضم أكثر ما يكون من الحزبيين، فالمؤتمرات القطرية في الأقطار تجتمع، وقيادات الفروع والشعب التي هي على مستوى المؤتمر القطري تجتمع، وكلها منتخبة، وفي ظرف خطير مثل هذه الخطورة. . يجب أن يمثل الحزب أوسع تمثيل، لأن الحق لا يضيع حينما يجتمع أكبر عدد. يمكن أن يلعب التكتل لعبه في نطاق ضيق، ولكن لا مجال لتأثير التكتل حينما يرسل الحزب من انتخبوا انتخاباً شرعياً. قال الرفيق حمدي أن الدعوة غير شرعية، وأنه سبق وأن اقترح تشكيل لجنة تحقيق، وأنه يحتج الآن على تشكيل قيادة قطرية في العراق. .

### أيها الرفاق

لا أريد أن أستبق المؤتمر القومي، ولكن لا بد من أن أوضح ما قاله الرفيق حمدي. كانت هناك أزمة قوية في العراق، ظهرت بوادرها من الأشهر الأولى. . والرفيق حمدي بالذات، وهو أقل المسؤولين مسؤولية عن هذه الأزمة، لأنه كان في

(١) عقد اجتماع القيادة القومية المقصود هنا مساء ١٠ كانون الثاني ١٩٦٤، وحضره ٩ أعضاء من اصل ١٣.

سوريا بينما كانت الأخطاء تتراكم في العراق، ولم يرجع إلّا بعد أن قطعت الأزمة شوطاً بعيداً، هو أعرّف برأيي وقناعتي وتحذيراتي، ومنذ البداية قد كلفته مرة وضغطت عليه كي يسافر إلى بغداد، وكنا في شهر أيار أو قبل، ورجوته أن يذهب ويصحّي الأخوة هناك من عواقب الارتجال، فقد كان في ذلك الحين - أي بعد ثلاثة أشهر من الثورة - كان المعسكر الشرقي برمته يقف ضدنا، وأضاع الحزب إحدى مقومات سياسته التي ارتكز عليها دوماً: الحياد الايجابي، فقلت له: اذهب وقل للرفاق ماذا بقي من سياسة الحياد الايجابي بعد السياسة التي تنتهجونها؟. وكذلك يعرف الرفيق حمدي بأنني كنت أحتذر دوماً من سياسة التقتيل والتعذيب ضد أي كان، لأن الخلاف بيننا وبين الشيوعية لا يمكن أن يجيز هذه الأساليب. . الثورة لها حق مشروع في الدفاع عن نفسها ضد من يحمل السلاح ضدها في الأشهر الأولى، ولكن بعد استمرارها - وفي الصحف لا يمضي شهر أو أسابيع حتى نقرأ ونسمع بتنفيذ إعدامات - فقلت له بأن هذا يسيء جداً. وذهب الرفيق حمدي، وعاد دون أن يؤثر. . وقد يقال بأن هذه السياسة كانت العناصر غير الحزبية في الحكم تشجع عليها، وهذا صحيح، ولكن كيف يتحمل حزب البعث مسؤولية الثورة والحكم في بلد عربي إذا كان من الخفة لدرجة أن تورطه العناصر اليمينية؟. . فكيف يكون في مستوى المسؤولية والحكم والثورة؟. . هل هذا جائز أن نترك العناصر غير الحزبية أو الضعيفة الوعي، سواء التي كانت لها أغراض سياسية من تقتيل الشيوعيين لاسترضاء اليمينيين، أو الذين كانت عقولهم وتربيتهم توحى إليهم بهذه السياسة ولا يعرفون مضارها وعواقبها على البلاد؟ الحزب في النهاية هو المسؤول وهو الذي يُحاسب أمام الرأي العام في الداخل والخارج. . ثم اطلعت من القيادة القومية السابقة للمؤتمر القومي على وجود أزمة بشكل واضح منذ أوائل شهر حزيران. . أذكر أن رئيس مجلس الوزراء العراقي الرفيق أحمد حسن البكر طلب أن يجتمع بي في ذلك الوقت، ولأول مرة أسمع منه حديثاً طويلاً يعدد فيه الأخطاء في الحكم، وكيف انه يسير نحو العزلة، وكيف أن المشاكل تزداد في داخله، وفي داخل مجلس الثورة. كانت له آراء وملاحظات صائبة في طريقة التعامل مع الناس، في طريقة الادارة والتوظيف، في

التغاضي عن أخطاء الحزبيين في الوظائف والحرس القومي، في الإهمال والارتجال، وفقدان الخطة، في التناحر الشخصي . . كل هذه الأشياء كانت واضحة وبارزة منذ أوائل حزيران لدرجة أن هذا الرفيق الذي يجمع الكل على احترامه، وأن الرفيق البكر رجل مشهود له بالاخلاص، وبالأخلاق القويمة وبالتجربة والحكمة، وكان قد انتسب إلى الحزب في عهد قاسم، ونسمع أخباره بأنه الرجل الأول بين الحزبيين العسكريين وبأنه مهياً للقيادة نظراً لما يتمتع به من إخلاص، هذا الرجل قال لي منذ حزيران: « انني كنت ألمح علائم الحب في عيون الناس، أما الآن فإنني ألجأ إلى الطرق البعيدة عن البشر عندما أقصد مكتبي لكي أتحاشى أنظار الناس لأنني لم أعد أرى إلا الكره في عيونهم . . ». وكانت تطرح هذه المشاكل في القيادة القومية، وأزيدكم علماً بأن القيادة القطرية العراقية التي حكمت العراق بعد ١٤ رمضان إلى وقت النكسة لم تجتمع أكثر من ٣ - ٤ اجتماعات في ١٠ أشهر، وبشكل أوضح لم تكن تجتمع إلا عندما كانت القيادة القومية تذهب إلى بغداد وتجمعها بالضغط، وبعد سفرها تنتهي القيادة القطرية كقيادة، ولا يعود هناك إلا أفراد بعضهم متجانس ويعمل بتفاهم، والآخر مشتت. ودرسنا مع القيادة القطرية في ذلك الوقت كيفية إصلاح الحال، فوجدنا أن السبب الرئيسي هو عدم وجود خطة للحزب وللحكم، وكان بعض الرفاق قد أعدوا مشروع خطة، وقرئت في اجتماع قيادة قومية مع القيادة القطرية، ونوقشت وأقرت، وبقي على القيادة القطرية أن تطبقها، ولكن بعد رجوع القيادة القومية بيوم أو يومين انتهت الاجتماعات، وانتهت الخطة، وقيل من قبل أحد أعضاء القيادة القطرية لمنظمة حزبية، وكان هذا العضو مكلِّفاً بأن يشرح للمنظمة الخطة لكي تتبناها وتعمل على تطبيقها والدعاية لها بين الشعب، قال للمنظمة هذه خطة ولكنه غير قانع بها، وعندها انتهت ودفنت في اليوم الثاني لعرضها. وعاد كل واحد منهم إلى ديدنه في التفرد والارتجال، وسمعت مرة من الرفيق حمدي يسمي دعوة المؤتمر القومي إلى إنقاذ الحزب والبلاد عملاً فردياً، ولكنني لم أسمع منه يشجب تلك الأعمال، لم أسمع منه يسمي تلك الأعمال فردية، وعلى الأصح سمعت ذلك بيني وبينه، ولكنه لم يواجه بها المؤتمرات . . هذه هي

الشجاعة، لا أن نظمس الحقائق على أفراد حزبنا وشعبنا ونحن نتصرف بمقدراته . .  
نعم غبنا شهرين، وعدنا وإذا الحال أسوأ من السابق، وفي المرة الثانية - أي بعد  
شهرين، في تموز وآب - سمعنا نغمة جديدة: نغمة يسار ويمين، بينما سمعنا في  
الأول انه لا خطة هناك . وبعد شهرين، فإذا بكتلتين في القيادة وعددها (٩)، أضيف  
إليهم عضو خلاًفاً للنظام، والمهم أن (٢) من (٩) كان لهم رأي وموقف عدا  
الأخرين، وكان هذا كافياً ليؤخذ مبرراً لعدم الاجتماع، اجتماع قيادة طوال عشرة  
أشهر . . اثنان يخالفان سبعة، لماذا لا تجتمع القيادة، وتبتت، وتأخذ قرارات  
بالأكثرية، وتفرض قراراتها؟ . . يقال لكم أن المسألة ليست بهذه البساطة : هناك  
الحكم، والحزب لم يكن مسيطراً كل السيطرة، وبالتالي القرار الذي يتخذ بالأكثرية  
في القيادة لا ينفذ في الحكم، ويمكن بعد هذا الحل السليم لحل المشاكل كي  
نلف ونحتال ونتهرب فتتخذ قراراً ونقول للحكومة وللمجلس هذه سياسة الحزب . .  
طالما هناك اثنان يخالفان رأي الآخرين، فلا موجب لاجتماع القيادة . هذا مريح  
جداً كي لا تكون هناك قيادة وقرارات، بل كتلة أفراد يجتمعون حسب أهوائهم .  
ومنظمة العراق، وهي أعلى مستوى تنظيمي بقيت عدة أشهر بلا توجيه، بلا نشرة،  
بلا انتخابات، ففوضت القيادة نفسها بدون شرعية . . فأين الشرعية التي يتذرعون  
بها؟ . . ولكن عندما أصبح الحزب حاكماً لا تجري انتخابات، والقيادة لا تجتمع،  
بل الأفراد كل واحد يعمل على هواه، فإنني أيتها الرفاق، أقول لكم بأننا، وأنا  
شخصياً، كنت أشعر بالخوف والقلق والذعر على مصير الحزب في العراق . كنت  
اعتز بحزبنا في العراق قبل ١٤ رمضان أشد الاعتزاز، وهذا معروف لدى الجميع،  
وكنت أعتبره الحصن الحصين للحزب في جميع الأقطار، ولكن بعد ١٤ رمضان  
بدأت أشعر بالقلق للتصرفات الفردية الطائشة . . رأيت أن المستوى ليس مستوى  
قيادة بلد وشعب، بل كان متناسباً مع ظروف النضال السليبي، وكم مرة صارحت  
الرفيق حمدي خاصة بذلك، ولأنني أعرف رصانته، بمخاوفي هذه، ولذلك طلبت  
من القيادة القومية السابقة أن تسارع إلى عقد مؤتمر قومي في ١٧ أيار . اتفقنا على  
ذلك - أي بعد ١٤ رمضان بثلاثة أشهر ونصف ولكنهم جاؤونا في ١٠ أيار ليقولوا إنهم

لم يستطيعوا إجراء انتخابات - كانت هناك مشاكل أخذت بوادرها تظهر، وأخذت تشير إلى أن هذا المستوى من القياديين لا يكفي لكي يحسن تسيير الثورة إلى الشاطئ الآمن، ولأن هؤلاء الرفاق لم يعودوا يسمعون رأياً أو نصيحة من أحد، ولا من القيادة القومية - أعلى قيادة في الحزب - فكانوا بكل صراحة يقولون انهم في غنى عن أي رأي آخر، وكل رأي يقابل بالاستخفاف. قلت لهم: ان الرأي العام العالمي لا يستخف به، وأن الرأي العام العربي يجب أن نهتم به. كنا نسمع: وماذا بهم ذلك علينا في العراق؟. . . ولكن كيف كان يساس العراق؟. . . بالارتجال، بالأعمال الفردية، وبدون جد. . . وأنا أفهم من الثوار ومن الثورة أن يقضوا الخمس سنوات الأولى في سهر دائم، أن لا يأخذوا نفساً في السنوات الأولى، أن يناموا ويقوموا في مراكز عملهم، حتى لو لم تكن لهم الكفاءة والخبرة المطلوبتين، إنما الغيرة الثورية إذا كانت جديفة فتقتضي بهذا. . . لم نشاهد شيئاً من هذا بالعراق، بين اخواننا، فاغترروا بالنصر. ويجب أن نصارح بها أنفسنا. . . وطالما أن القيادة القومية لا يُسمع رأيها، والزمالة ليس لها حساب أيضاً، فلم يبق إلا العودة إلى المؤتمر القومي. ضغطنا على اخواننا مرة ثانية وثالثة بأن يجروا انتخابات حتى نعقد المؤتمر القومي، ووافقوا على ذلك، وأجريت الانتخابات وخرج منها مؤتمر قطري، ولأول مرة في تاريخ الحزب تبتدع بدعة بأن تجرى الانتخابات على دفعتين، فانتخب مؤتمر عام من (٥٤) عضواً، وهذا بدوره انتخب سبعة وعشرين عضواً. أهذا أصولي ونظامي جداً؟ أما دعوة المؤتمر القومي في ظروف رهيبة فهو عمل فردي من قبل الأمين العام. . . وأخيراً اجتمع المؤتمر القطري. . .

### أيها الرفاق

هناك أعضاء القيادة القومية السابقة، بعضهم موجود هنا في هذا الاجتماع، ويشهدون على القلق الشديد الذي كان يساورنا من استمرار هذه السياسة وهذا الأسلوب، وليسوا هم وحدهم، لا بل وجدت من واجبي ألا أترك القيادة في سوريا. . . فالحزب واحد والمصير واحد، وما يصيب العراق يصيب سوريا بالدرجة الأولى، فدعوت بعض أعضاء المجلس الوطني إلى اجتماعات، وهم حاضرون

بينكم، وكنت أحذّرهم، وأقول لهم بأننا يجب أن نبادر إلى تفادي النكسة قبل وقوعها، يجب أن ننصح اخواننا وأن نردعهم، وأن نعاونهم ونكمل ما في تجربتهم من نقص، لأن استمرار هذه الأخطاء سيزيد في عزلة الحزب والحكم.

في المؤتمر القطري العراقي تكلمت، وحذرت، وكلمتي كتبها بعض الرفاق هناك. . . حذرت من هذه الأخطاء، ولكن ربما قصرت ولم أستعمل الكلمات القاسية الجارحة، ولم أصرخ بكل صوتي في البعثيين أن يتداركوا حزبهم وثورتهم وقضيتهم، كي لا تضيع. . . قصرت، لم أتكلّم بهذه الصراحة، وإنما أشرت إلى الأخطاء، وقلت بأن الحزبي الأصيل يستطيع أن يتغلب على هذه الأشياء ويتداركها، ولا حظنا في المؤتمر أسلوباً غير سليم، لا يدعو إلى الاطمئنان. . . لم يكن مؤتمر حزب بعث، إذ لم أعرف مؤتمرات كهذا، بل كان برلماناً للمرافعة، لتسقط الهفوات اللفظية، للمحاسبة على شكلياتها، كما في المحاكم أو البرلمانات، حيث التكتل والأحزاب المختلفة ولم نر كلاماً صريحاً إلا من القلائل جداً، ومن جهة واحدة. . . لاحظنا بعض أعضاء القيادة القطرية أو اثنين - حدثتكما عنهما بأنهما كانا يخالفان السبعة الآخرين، ويتقدان هذه الأساليب والأعمال من أشهر - لاحظنا روحاً تنذر بالخطر: إنهما يحرضان العسكريين على الحزب، ولذلك لم نسترسل في انتقاد الأخطاء وفي شرحها الشرح الكافي، لكي لا تُستغلّ ضد الحزب، وقد حذرت هذين العضوين أثناء المؤتمر، ونبّهت بعض الرفاق العسكريين، وخاصة الرفيق البكر، ذهبت إلى مكتبه أثناء المؤتمر واجتمعت به بحضور رفيقين من القيادة القومية وكان كلامي في ساعة أو أكثر ينصبّ على الفكرة التالية: الحزب أولاً. . . هذا الحزب لم يرتجل في يوم، ولم يُصنع في يوم أو سنة. . . هذه حركة تطلّبت سنين وسنين حتى تأسست وفرضت نفسها من خلال الصبر والثبات والتضحيات وسقوط العديد من الشهداء، فليس كل يوم تصنع الأمة العربية حزباً بهذا المستوى، ولذلك يجب أن تنتبهوا، فلا يجوز الاستعانة بقوة من خارج الحزب على الحزب، بل يجب معالجتها ضمن الحزب.

## أيها الاخوة

ورفاقنا يشهدون وسيقولون لكم ذلك، كنت أقول لهم أخطاء الرفاق هي أفدح بكثير من تأمر الآخرين، لأنها هي التي ستدفع إلى التآمر، وتبرره. فالحزب إما أن يكون فعلاً قد وصل إلى الثورة وحققها عن جدارة، فعليه أن يحمي نفسه ضد كل المتآمرين، عليه أن لا يترك لهم ذريعة ليطعنوا به، وإلا فيكون وصوله غير طبيعي، وفي غير أوانه، لأنه لم يحقق المستوى القيادي اللازم لقيادة ثورة وشعب، وهي تختلف عن قيادة فرق وشعب. . . كنت أقول لهم، هؤلاء الرفاق، كنت أحدثهم عن نضالهم، وطالما سمعوا إعجابي بهؤلاء الرفاق، وبنضالهم السابق، ولكن ما العمل؟ . . . انهم لا يبرهنون عن جدارة في الحكم، وفي تحمّل المسؤوليات في مرحلة البناء والثورة. . . ليس عندهم الشروط لذلك، وأنا أتمزق بين وفائي لهم ولماضيهم، وبين خوفي وقلقي من حاضر أعمالهم. . . فعليكم أنتم أن تساعدوني في الضغط عليهم، لكي يلتزموا ويتوقفوا عن هذا الأسلوب. . . وفي المؤتمر القومي بقيت لنا فرصة أخيرة، وكنت أقرب إلى التشاؤم في هذا المؤتمر، وقبل أن يبدأ، لأنني لمست شيئاً في أسلوب هؤلاء الرفاق تكرر وتكرر، فعرفت أن أسلوبهم هو التأزيم المتزايد. . . التأزيم، إذا حققوا نصراً فيزدادون إمعاناً في الأخطاء نفسها، إمعاناً وغلواً، بدلاً من أن يستفيدوا من الدروس، وأن يجعلوا هذا النصر للحزب، ولكنهم بدلاً من أن يعتبروا ويبدأوا صفحة جديدة، ويحاولوا أن يروا نصيب الحقيقة في آراء خصومهم - لأن كل معارض عنده نصيب من الحقيقة - بدلاً من أن يضعوا الحزب فوق أشخاصهم. . . بدلاً من أن يفتحوا صدورهم ليتغلبوا على عاداتهم، وليرعوا ذمة الحزب ومصير الحزب، وليغيروا من الأعمال المتطرفة التي أساءت وعزلت الحزب. كل هذا لم يحدث، ولم يغير الرفاق شيئاً من أسلوبهم بعد المؤتمر القطري، لأن التصويت دلّ على عدم رضى كامل عن مثل هذه السياسة، ومثل هذه القيادة. . . وكانت القيادة القومية بالقياس إلى ما قبل الثورة تخص الحزب في العراق بنسبة كبيرة من التمثيل في المؤتمر القومي، بنسبة نضاله، وكان له رجحان وعدد كبير من الممثلين، واستمرت القيادة القومية على هذا المنوال، وأعطت الحزب في العراق



٢٥ ممثلاً، بينما أخذت سوريا أقل من ذلك بسبعة مقاعد . . وتعرفون - أيها الرفاق - مرضاً آخر من أمراض العقلية الضيقة: هو أن هؤلاء الرفاق جعلوا العضوية في العراق بالحزب أشبه بالعضوية في الجمعيات السرية، فكان حزب البعث يضم الآلاف من شباب العرب في العراق من المناضلين الذين تعرضوا إلى التجارب، ولكن هذه الآلاف حرمت من حق العضوية، وتحصر في مئات فقط . . وهؤلاء يحكمون الملايين في العراق، في حين انه لا يمكن أن تخرج إرادة صحيحة من هذه الفئة السرية . لا . . ليس هذا من روح نظام حزبنا . . ولكن هذا كان الواقع في المؤتمر القومي . . جاء رفاقنا بنسبتهم الكبيرة في التمثيل، ونعرف أيضاً بأن لهم في سوريا من هم متأثرون بهذا الأسلوب إلى حد ما . . كان منتظراً إذن أن لا يؤدي المؤتمر القومي إلى حل صحيح وجددي لأزمة الحزب، ومع ذلك بذلنا الجهود . وقد نبهت بعض الرفاق في الأيام الأولى للمؤتمر إلى ذلك، وطلبت منهم أن يتكلموا ويقولوا ما يعرفونه عن هذه الأخطاء كي يستطيع أعلى مؤتمر في الحزب أن يجد حلاً . . وتكلمت كثيراً في هذا المؤتمر، وحذرت كثيراً، وقد عدت لأقرأ الكلمات التي قلتها في المؤتمر القومي، إلا أنها كانت ضائعة، والتسجيلات التي سجلت في المؤتمر القومي لا أعرف ماذا حل بها . . قلت للمؤتمر القومي أن هؤلاء الرفاق ناضلوا وتعبوا، ولكنني أشرت بوضوح إلى أسلوب دخيل على الحزب، أو هذه هي قناعتني، سأقولها دائماً، هذا أسلوب تكتل واحتراف لصناعة استغلال النظام الداخلي . . خذوها مني هذه الكلمة: صناعة وحرفة، بشكليات وفقهيات وبيزنطيات، لا يعقل أن يتحول البعثيون إلى أشخاص من هذا النوع، وهم يستلمون مقدرات الملايين من أبناء أمتنا، والأمة تنتظر تجربة البعث لكي ترى هل هي جديرة بالحياة؟ . . ثم بعد إصابتنا بالنكسة تستمر هذه الشكليات بالمماحكة، كي ينفردوا بالسلطة، بالقيادة، لكي يُطمس الرأي المعارض والمخالف، لكي تُطمس الحقيقة . . ماذا حل بنا حتى نصل إلى هذا المصير؟ . أسلوب هجين غريب، فقد بدأ حزبنا بالصدق والبساطة ولا يستطيع أن يستغني عنهما هذا الحزب، هذه العقيدة البسيطة التي سمعت في الأشهر الأخيرة من التهكم عليها، ومن التعريض بها، ما يدمي القلب من كبار

القياديين . . هذه العقيدة بفضلها وصلت إلى القيادة والحكم ، لأن الشعب العربي حينما أعطاكم الثقة ، اعطاكم إياها بالنسبة للكلمات البسيطة التي عبّرت عن عقيدة الحزب لا للتكتل والسرية . حذرت في المؤتمر القومي بكل محبة ، وفي اعتقادي وضميري أن المحبة فوق كل قيمة . البعث هو اشتراكية علمية زائد روح . . لذلك راجعوا كلماتي في المؤتمر القومي . خاطبت هؤلاء الرفاق بكل محبة ، ولم يجد ذلك . كنت أقول لأعضاء المؤتمر القومي ، بالحرف الواحد : إني وضعت عمري في هذا الحزب ، ومن الطبيعي ألا أطمح إلا إلى أن أرى الحزب ينمو وينجح ، نجاحاً صادقاً ، لذلك فإني أقلق وأحذر . . أقول لهم عليكم أن تسألوني . وفي اليوم التالي قلت خلاصة تجربتي ، وخلاصة تحذيراتي . ولما حان موعد انتخاب القيادة القومية الجديدة ، ورشّحت ، قمت واعتذرت . . وكان الكثيرون في المؤتمر القومي يعرفون من أيام انعقاد المؤتمر بأنني لن أرشح نفسي . . لأنني سأستغل كستارلا أكثر ، لأنني لم ألمس أي تراجع عن الأسلوب ، بل لمست الاسترسال والتماذي . . وأنا أعرف بأنهم سيرشّحونني ، وسيتخبّونني بالاجماع لحاجتهم لي . ولماذا أساعد على إخفاء الحقائق عن الحزب؟ . . واعتذرت ، وحدث الضغط عليّ من كل جانب ، ومنهم - من هؤلاء الرفاق أنفسهم - من يعلم بأن المؤتمر يفشل ، وبأن الحزب ينقسم ، وبأن . . لا أعلم ماذا يحدث؟ فأصغيت وسكت ، وذهبت وبقيت يومين في حالة من التمزق ، وأنا أرى الأخطار ، فكيف أتبه الحزب؟ . . استقالتني كانت واجبة ، أو اعتذاري عن الترشّح كان واجباً . ففكرت في الاستقالة واعتذرت يومين عن حضور الاجتماع ، وتأخر الاجتماع ، ثم ذهبت وبقيت ساعة أو ساعتين ، وأعضاء القيادة يتخبّون وأنا صامت ذاهل : أبقى أولاً أبقى . . ومن ثم صارحتهم . قلت لهم أن هذه القيادة خرجت نتيجة تكتل ، وإذا كان هو الذي سيقود الحزب فسينهار ، لأن التكتل يغلب عليه العصبية وروح التكتل ، أما إذا استطاعت هذه القيادة ، رغم خروجها عن التكتل ، أن ترفع إلى مستوى المسؤوليات ، وأن تنسى أنها متكتلة ، فأنا مستعد ، وإلا فدعوني وشأني . . ويعرف بعض الرفاق اني فكرت في السفر بعيداً ، كي يتساءل البعثيون في كل مكان عن سبب انسحابي وسفري . . قلت لهم : ليس من السهل أن

يترك واحد مثلي حزبه . لذلك عندما أكدوا لي بأن القيادة لن تعمل بروح تكتل بل بروح المسؤولية تابعت العمل . . وفي جلسة تاريخية، قبل أحداث العراق بأيام معدودة حضرها كل أعضاء القيادة عدا الرفيق البكر، اجتمعنا يومين، ساعات وساعات، ليلاً ونهاراً، وعالجنا مشكلة العراق . . وطرحنا أسئلة على الرفاق، وقلت لهم، ان جوابكم عليها سيكون تاريخياً: هل هناك احتمال انقلاب ضد الحزب؟ . . فكان الجواب: لا . . لا يوجد واحد على ألف من هذا الاحتمال . . لم يكن هناك أي شيء يخفى من تأمر عارف . . كل هذا كان معروفاً أو مفترضاً، وهذا واجب القيادة أن تفترض أن المؤامرات لن تنتهي . فالجواب كان من البعض بالتردد، ومن الآخرين بالنفي، وهؤلاء الرفاق كلهم حاضرون . .

### أيها الرفاق

لن أذكر أمام هذا العدد من البعثيين . . أمام هذا العدد من المواطنين العرب - بصرف النظر عن كونهم بعثيين - فإنهم مواطنون عرب، بشر، لن أذكر أمامهم كل ما قيل بحقي من افتراءات واتهامات بعد نكسة العراق من رفاقي في الحزب، وفي القيادة القومية، وفي قيادة العراق، كانوا في المؤتمر القومي الأخير، وكانوا في السنين الماضية يقولون عني أشياء، وحتى في المؤتمر القومي الأخير قاموا وذكروا أشياء نسبوا إليّ الفضل فيها بدون أن أستحقها . . ولكن هذا الأسلوب - ليس المهم أن أجرّح شخصياً - المهم هذه العقلية، والشريعة العجيبة التي تجيز مثل هذه الأحكام والتبدلات السريعة والمفاجئة، بالأحكام على الأشخاص . . التي تجيز في حزب يضم عرباً ويضم أناساً أسوياء . . هذا الأسلوب الذي يجيز أن يتهم شخص بلغ الرابعة والخمسين من العمر، وقضى في هذا الحزب أربعاً وعشرين سنة منذ اللحظة الأولى لتأسيسه، واستعدّ سنين قبلها للقيام بهذا العمل، أن يقال بحقه من الافتراءات ما لا يقال، وذلك فقط، لأنني كنت دائماً ومنذ أشهر عديدة أنبه بمحبة، وبدون أن أجرّح أحداً، وأقسي كلمة قلتها: «الطيش، الارتجال»، كنت أقولها لتألّم على هذا الحزب . . لا أعلم ماذا سيقول الشعب البسيط عندما يجد أن حصيلة أربع وعشرين سنة في هذا الحزب المنظم هي هذه الطعون والتهم

والمكافآت الرائعة التي تقدم لشخص يعرف - قبل أي إنسان آخر - انه بسيط متواضع . . بل عربي وبسيط اراد أن يتحدى كثيراً من الأشياء في هذا الوطن . كل ما قلته اقتنعت به ، وصلت ثقافتي إلى هذا الحد ، ووقفت عند هذا الحد . . وأقولها صادقاً : اني أعرف نفسي وحدود إمكاناتي ، ولكن أعرف نفسي اني صادق . . وقلت للشبيبة التي وجدت في الصدق ان لدي أيضاً نواقص كثيرة ومواطن ضعف ، ولولا إيماني بالله . . اني أؤمن به ، وذكرت ذلك في كتاباتي . . الايمان بالله . . بالامة العربية . . بالشباب العربي . . الذي أعطاني الثقة وأكثر مما أستحق . . تغلّبت ولم أياس ، بل تابعت الطريق إلى هذه السن . . هذا ، بكل بساطة ، ما أريد أن يُعرف عني إذا عاش هذا الحزب ، وسوف يعيش لأنه صادق ، وفيه بذرة صدق تكفي لانقاذ أمة . . أعرف كل شيء . . أعرف الظروف القاسية وما طرأ على الحزب من تشويه . . أعرف ، ولا أحب أن أسترسل أكثر من ذلك ، ولكني أقول أن الذي يعيش بين عشرات ومئات وألوف من شباب العرب ربع قرن أو أكثر - وكنت قبل تأسيس الحزب ومنذ صغري مؤمن بهذه المبادئ - وأبي قبلي كان وطنياً وتعلمت منه الوطنية ، وهذه ولأول مرة أذكرها في حياتي . . أقول لكم ، أيها الرفاق ، من قضى العمر في خدمة العقيدة لا يخاف أحداً ولا يهاب أحداً . .

٢ شباط ١٩٦٤